هوامش

لم يعد الدكان مقصداً للمستهلكين الجزائريين الذين باتوا يفضلون المتاجر الكبرى لما توفر من خيارات متنوعة وشاملة، وهو ما أدى إلى إغلاق العديد منها، خصوصاً في المناطق ذات الكثافة السكانية

لدى المستهلك خيارات متنوعة (العربي الجديد)

«سوبيرات» الجزائر
متاجر تشجّع المواطنين على الاستهلاك

الجزائر ـ **فتيحة زماموش**

يُلاحظ ازدياد عدد المحال الكبرى أو ما يعرف بـ «السوبيرات» في مختلف الأحياء والبلدات الجزائرية التي توفّر كل ما يحتاجه الزبون من مواد غذائية واستهلاكية وخضار وفاكهة وأجهزة كهربائية وأدوات للزينة وملابس وقرطاسية وغيرها بأسعار تنافسية. في المقابل، بدأت تتراجع الدكاكين أو الحوانيت القديمة أمام هذه المحال الكبرى، مع بروز التجمعات السكانية التي توسعت على أطراف المدن والأحياء، الأمر الذي يؤشّر إلى تغيّر النمط الاستهلاكي والقدرة الشرائية لدى الجزائري في الوقت نفسه على تغير نمط تبضع الجزائريين وتحولات تشهدها طبيعة استهلاكهم اليومي. وبخلاف «الحانوت القديم» أو البقالة حيث الخيارات محدودة، فإن انتشار المحلّات الكبرى يمنح الزبائن سهولة أكبر في التبضع.

ويتماشى هذا التوجه مع النمط الاستهلاكي وإقبال الناس على الشراء وسرعة الحياة اليومية. وتقول أستاذة علم الاجتماع في جامعة «الجزائر» وسيلة مباركي لـ «العربي الجديد»: «هذه المتاجر التي تأخذ التسمية الفرنسية بحروف عربية تعكس مظاهر التقدّم الظاهر في نمط حياة الجزائريين، والتطور في التواصل البشري المتعلّق بالعرض والطلب والبيع والشراء والتحفيز على الاقتناء والاستهلاك». وتقول لـ «العربي الجديد» إن «تغير نمط معيشة الجزائريين عامل مهم في السلوك الاستهلاكي للأفراد، في ظل بروز التجمعات السكنية الجديدة التي فرضت نوعاً جديداً من القيم والعادات المرتبطة بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المستجدة للعائلات، والتي تتكيف معها طريقة العرض في المتاجر الكبرى». وفي ظلّ تحول أنماط الجزائريين المعيشية، توضح مباركي أن الدكاكين تلاشت شيئاً فشيئاً من التجمعات السكنية في الأحياء القديمة، لافتة إلى أن التوجّه الاقتصادي الحرّ أثر على الهياكل القاعدية وأساليب التفكير وأنماط الحياة لدى الأسر الجزائرية وحاجاتها ورغباتها. وتتيح السوبيرات الكثير من السلع والمنتجات، سواء كانت محلية الصنع أو عالمية مستوردة من خارج الجزائر بكميات كبيرة وبأسعار منخفضة مقارنة بالمحلات الصغيرة. ويبحث المستهلك عن شراء ما يلبي رغباته للاستهلاك أو الاستخدام اليومي. ويكشف أحد العاملين في «سوبيرات المنظر الجميل» في منطقة القبة وسط العاصمة الجزائرية عبد الرحمان راشدي، أن هذه المتاجر الكبرى انتشرت في الأحياء السكنية الجديدة والمناطق التي شهدت توسّعاً عمرانياً. وتوفّر للزبائن مختلف المنتجات المطلوبة تماشياً مع الإمكانيات الشرائية للمواطنين في هذه المنطقة. ويقول لـ «العربي الجديد» إن تواجد مثل هذه المحلات الكبرى يريح السكان ويتيح لهم شراء ما يحتاجون إليه بسهولة أكبر. واللافت أن انتشار هذه المتاجر تزامن مع التوسّع السكاني والتجمعات البشرية الجديدة على أطراف المدن ضمن الأحياء السكنية الجديدة بالإضافة إلى المدن الجديدة التي نمت وتطورت عند تخوم المدن القديمة الكبرى، منها الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران والبليدة وبجاية وسطيف، والتي تحتاج إلى مثل هذه المتاجر لتلبية احتياجاتها، وتنسجم مع متطلبات الحياة اليومية.

وتأثّرت عمليات البيع والشراء في الجزائر بالتطوّر الاقتصادي والتجاري والاقتصاد الحر، الأمر الذي انعكس على العرض الخاص بالمنتجات ذات الاستهلاك الواسع. وعرفت الجزائر خلال سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وحتى التسعينيات منه ما يسمى بـ «أسواق الفلاح»، وهي مجمعات تجارية كبرى تسيّرها الدولة وتدعمها الحكومة. إلا أن الانتقال من اقتصاد ريعي مبني على مداخيل النفط إلى اقتصاد متعدد يعتمد على الخصخصة عزز النمط الاستهلاكي بين المواطنين، بحسب أستاذ الاقتصاد في جامعة «بومرداس «عبد العزيز بطيش. ويقول لـ «العربي الجديد» إن القدرة الشرائية لدى الجزائريين تغيّرت، لافتاً إلى أن المتاجر الكبرى تروج سلع محلية ومستوردة في العديد من البلدان، الأمر الذي يزيد من التنافس بين المنتجات المحلية والأجنبية.

يضيف بطيش أن هذه المتاجر الكبرى تمكّنت من استقطاب نسبة كبيرة من المستهلكين عن طريق ضمان وفرة المنتجات المعروضة للبيع، وذات الطّلب الكبير في التجمعات السكانية التي تفتقر إلى الدكاكين. ويوضح أن أي «محل كبير المساحة يدرس السوق أو الفئة المستهدفة، الأمر الذي يتضح بشكل لافت في التجمعات السكانية الجديدة التي تحتاج إلى مثل هذه المتاجر». من الناحية النفسية، فإن سلوك المستهلك ـ الزبون يعدّ الحلقة الأهم لفهم انتشار «السوبيرات» في مختلف الأحياء تلبية لمطالب الناس في ظل النمط الاستهلاكي الحالي. في هذا الإطار، تقول الأستاذة في علم النفس السلوكي عالية بن عبد الله إن «السوبيرات» توفر علامات تجارية مختلفة للسلعة الواحدة، الأمر الذي يتيح للزبائن اختيار سلعة تناسب إمكانياتهم المادية وتشبع رغباتهم.

وتقول لـ «العربي الجديد» إن «المحلات الكبرى تضع أمام المستهلك خيارات عدة، الأمر الذي يدفعه إلى الشراء».

باختصار

الدكاكين تلاشت شيئاً فشيئاً من التجمعات السكنية في الأحياء القديمة في ظل التوجّه الاقتصادي الحرّ الذي أثر على الهياكل القاعدية وأساليب التفكير وأنماط الحياة لدى الأسر الجزائرية وحاجاتها ورغباتها

■■■

«السوبيرات» توفر علامات تجارية مختلفة للسلعة الواحدة، الأمر الذي يتيح للزبائن اختيار سلعة تناسب إمكانياتهم المادية وتشبع رغباتهم

■■■

المتاجر الكبرى تمكّنت من استقطاب نسبة كبيرة من المستهلكين عن طريق ضمان وفرة المنتجات المعروضة للبيع، وذات الطّلب الكبير في التجمعات السكانية التي تفتقر إلى الدكاكين

وأخيراً

خبز على طاولة البوكر

سعدية مفرح

من أصعب المهمّات التي أواجهها في حياتي الثقافية، التحكيم لجائزة أدبية. ففي كل مرّة أجدني فيها محكّمة لجائزة، أستشعر رهبة تسكنني طوال فترة التحكيم، وربما حتى بعد الانتهاء من المهمّة. حدث هذا دائماً، حتى إنني اعتدتُه طقساً لا بد منه كلما لاحت لي في أفق العمل الثقافي إشارة إلى مهمة جديدة من هذا النوع.

في المهمة الخاصة بتحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر)، في دورتها أخيراً، كان شعور الرهبة مضاعفاً، لأسباب لا تتعلق بقيمة الجائزة ومكانتها في أوساط الروائيين العرب وحسب، ولكن أيضاً لما يمكن أن أسمّيها النميمة التي تُصاحب هذه الجائزة في كل مرّة بعد إعلان قائمتها الطويلة، ثم القصيرة، وأخيراً نتيجتها النهائية. اعتدنا، نحن القراء والمشتغلين بالشأن الثقافي العام، هذا النوع من النميمة التي تصل، في أحيانٍ كثيرة، إلى حد الاتهامات والخصومات وغيرها من سلبياتٍ تكاد تُفسد الفرح باكتشاف رواياتٍ جميلةٍ وروائيين مبدعين لم يكونوا قبلها على خريطة الشهرة والرواج بين القرّاء.

انتهت الدورة الـ15 من جائزة البوكر العربية، التي شاركتُ في تحكيمها، إلى جانب زملاء وزميلات، برئاسة الروائي والناقد الأكاديمي شكري المبخوت، حيث خرجتُ من المهمّة بحمولة ثقيلة من المتعة التي استخلصتها من قراءة ما يزيد على 120 رواية، قبل أن نصل بعد ثلاث جولات من التحكيم التفاعلي المباشر، استغرقت ساعاتٍ طويلة، إلى رواية «خبز على طاولة الخال ميلاد» للشاب الليبي، محمد النعّاس، فتكون هي الرواية المستحقّة للجائزة، من بين ست رواياتٍ وصلت إلى القائمة القصيرة، تستحق كلها، كما أرى، أن تكون في واجهة الإبداع الروائي العربي بأحدث صوره ومعطياته. فتلك الروايات، وبعض روايات القائمة الطويلة، تبشّر بثورة روائية عربية مفعمة بالإبداع والأصالة الفنية، ويستحقّ مؤلفوها ثناءً استثنائياً، إذ نجحوا، من خلالها، باستحقاقات فردية كبيرة ولافتة فعلاً. وعندما تفوز جائزة واحدة فقط من تلك الروايات الست التي وصلت إلى القائمة القصيرة، فلأنها حقّقت رغبة أعضاء لجنة التحكيم في الوصول إلى قرار نهائي بصورةٍ جماعيةٍ لا لبس فيها ولا خلاف، ولا حتى مجرّد اختلاف، ولعل هذه من الحالات التحكيمية النادرة.

لن أتحدّث، وفقاً لشروط المهمة المسبقة، عن تفاصيل النقاشات المطوّلة جداً بيننا، نحن أعضاء لجنة التحكيم، قبل الوصول إلى هذه النتيجة، ولكنني أستخلص منها حكمة التهادن في النقاش، مهما احتدّ، وسلاسة التوافق بيننا للعبور من مرحلةٍ إلى أخرى، بحرّية تامة امتلك فيها كلٌّ منا رأيه الخاص والمستقل، كما امتلك حريته في الدفاع عن ذلك الرأي بكل ما أوتي من أدوات نقدية. وهو ما ساهم بتنقية ظنوني المسبقة من شوائب ترسّبت على هوامش جائزة بوكر، تحديداً في دورات سابقة، لبعض نتائج لم أكن أراها موضوعية للأسف. على أن ذلك ضاعف من ثقل الإنجاز الفردي في أثناء التحكيم، فرغم الحرص الشديد على موضوعية الاختيار، في مهمّةٍ تعتمد على الذائقة الإبداعية الخاصّة، وهنا تكمن الصعوبة كلها، إلا أن ذلك لم يمنعنا من توقّع ردود فعل تكرّر في أشكالها بعد إعلان نتيجة كل مسابقة من المسابقات الأدبية غالباً. وهذا ما يشجّع على توكيد المؤكّد في معنى الجائزة التي تعتمد على مسابقةٍ يشارك فيها كثيرون يعرفون شروطها، وينبغي أن يكونوا قابلين بنتائجها مهما كانت، فالجائزة الأدبية لا تعني سوى أن العمل الفائز بها قد حاز إعجاب لجنة التحكيم أكثر من غيره. هكذا، بكل بساطة، تناولنا خبز الجائزة على طاولة البوكر بتلك اللذّة المتوقعة، بعيداً عن أي توقعاتٍ بعسر الهضم لدى من يحبّون ممارسة النميمة على هوامش الأحداث الجميلة.

> الجائزة الأدبية لا تعني سوى أن العمل الفائز بها قد حاز إعجاب لجنة التحكيم أكثر من غيره

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**